نداءات القلب

كتابة محمود كمال

"مش عارف للأسف اسالي جوة "

أقولها وأنا أفتش في ذاكرتي عن وجهها فتتمتم بحيرة " قالوا هو غَيّر الشيفت حاجة زي كده " .. تتلملم الصورة المموهة في رأسي .. أنهض من مقعدي متابعا "اه الدكاترة كل فترة بيغيروا شيفتات.. تعرفي اسمه محمد ايه بالكامل " تهز رأسها نفيا محبطة .. فجأة .. تقفز في رأسي صورتها المفعمة بالألم والإرهاق " انتي .. كنتي هنا من كام يوم ؟ .. آنسة الهام تقريبا ؟ صح ؟ حمد الله علي السلامة " أبادر بحرارةٍ صادقة، تومىء برأسها ساهمة " يعني متعرفش ألاقيه فين " مش عارف والله غالبا في قسم داخلي وهيبدل برده تاني ممكن ترجعي وتسألي " " آه لكن أنا معرفتش أدخل الأقسام .. متعرفش تكلمه " " طب قسم ايه ؟ فيه محمد كتير .. متعرفيش قسم ايه ولا محمد ايه؟ " تحتل خيبة الأمل قسماتها .. تنسحب وقد أسقط فى يديها .. أعود للقراءة غير أن خاطرةً ملحةً تدفعني للإندفاع خارجا .. أركض إلي الباب أتفحص العابرين ولا أراها .. حول نفس المدخل من أيامٍ قليلةٍ وقعت جلبةٌ هائلةٌ فخرجت من الحجرة مجذوبا بالهياج والصياح .. لمحت بين الحشد عند باب غرفة الجراحة الفتاة النحيلة في نهاية العقد الثاني من عمرها وألمٌ هائلٌ يعتصر ملامحها .. تبكى مع محاولات أطباء الجراحة الشبان - وأحدهم محمد - كسردبلةٍ معدنية أطبقت علي اصبعها، غائرةٍ لدرجة بدا معها ازرقاقٌ ملحوظٌ في الجزء المجاور للدبلة وتورمٌ محتقن في الجزء الأقرب للكف .. علي الباب تصرخ سيدة .. يتحرك بعض الفتية بتوتر.. يحتد البعض علي رجال الأمن ..ينقلب الاستقبال خلية عمل .. تجمعٌ من أطباء العظام والجراحة وحتي الباطنة يحاولون ايجاد الحل .. يجربون أدواتٍ مختلفةٍ لا يسفراستخدامها سوي عن مزيد من تأوهات الهام .. ومزيد من الاحتقان المنذر بتجلط مخيف حول اصبعها .. يتجه الأمر للأسوأ .. وما لم يوجد حل فهي مهددةٌ بفقدان اصبعها عوضا عن كارثةٍ أسوأ إذا امتد الأمر للتسمم والغرغرينا .. أشعر بيد قوية تربت علي كتفي وتزيحني من طريقها بعزم .. لأفسح الطريق للعملاق الهائل الذي دخل الغرفة وبدأ التشاور مع الزملاء .. كان عبد الكريم كبير أطباء الجراحة قد نزل أخيرا من حجرة العمليات في قلب الليلة الصاخبة .. كانت له مهابةٌ وقدرةٌ علي التركيز نعرفه بها .. يده قويةٌ، بقدر ما هي حساسةٌ لمواضع القطع والتشريط .. وبدأ يراجع ما استخدمه الأطباء ثم خرج يناقش الأهالي ويطلب بعض الأشياء .. كان الوضع عسيرا .. خيم علي الاستقبال بكل حجراته حالٌ من الترقب والتمني والابتهال .. انسلت بين كل الأطباء والتمريض والعاملين وحتي المرضي .. ولا يلبث أي منهم أن يسأل أحد أعضاء فريق الجراحة راجياً " فيه جديد ؟" ويبدو أن محمدا كان في طليعة المكافحين .. يتطلع الي الهام برفقٍ دافيء ورجاءٍ عظيم، غير أنه وقبيل الفجر انفجرت صيحات النشوة والفرح في ترهات الاستقبال تلك الليلة المشهودة .. لترج المنطقة من الضاهر وغمرة حتي باب الشعرية والموسكي .. لقد فعلها عبد الكريم ! استعان بخليطٍ من أدوات الجراحة والنجارة، واستخدم كل حذاقته وما أوتيت يده من دقة ليكسرالمعدن الغائر دون مسٍ بالاصبع العزيز، الذي التقط أنفاسه واستعانت أوعيته مرونتها تدريجيا لتنقذه من التسمم والغرغرينا .. نظرتُ الي وجه الهام التي احتضنتها والدتها بقوة .. تبكي

iCulture
Empowering creative minds

من الفرح والنشوة هذه المرة .. وقطعت الابتسامات والتهاني المتبادلة أرجاء الاستقبال السقيمة مع تباشير الفجر الجديد " هو حضرتك نبطشي العظام ؟عاوزينك جوة " أفيق من غفوتي "هه حاضر " أعود شاردا بعد أن فقدت أي أثرٍ لها في المدخل .. أين محمد ؟ ولماذا عادت الهام ؟! كان يجب أن أجد محمدا لإلهام .. وأن أجد لمحمدا الهامه .. يبدو أن محمدا انخرط فى عمله دون افصاح عما جال بصدره ليلتها.. ويبدو أن الهام أحيطت بحشود المهنئين فلم يسعها أن تخبر عما اعتمل بنفسها .. لكنها لم تنس ولم تنتهي والا فلماذا عادت؟ أعود الي الغرفة الضيقة محاصرا بذكرى خيبة الأمل علي وجه الهام .. ولكن عندما رفعت بصري إلي الطفلة اللطيفة الوافدة إلي حجرة الكشف .. أضاءت بسمات هذه الليلة قلبي من جديد .. فكرت أنها ستعود .. لو أنها أرادت من قلبها ستعود .. لو أنها أرادت .. فسيهديها القلب .. أغمض عيني علي هذه الليلة التي حفلت بالأنين .. والخوف .. والأمل المنفرج من كل هذا .. من القلوب التي لا تخفت نداءاتها أبدا.

محمود كمال

القاهرة 2021

iCulture
Empowering creative minds